

مخطوطات قمران وقانونية العهد القديم

إعداد / هزى ناجى

قصة إكتشاف

تعد قصة هذا الاكتشاف أحد أروع القصص في العصر الحديث. ففي فبراير أو مارس من عام 1947 كان هناك راعي بدوي صبي اسمه محمد يبحث عن عنزة ضالة. فرمى حجراً في ثقب في تل على الجانب الغربي للبحر الميت، على بعد ثمانية أميال جنوب أريحا، واندھش لسماع صوت تحطم أنية فخارية. ولما تفحص الأمر شاهد منظراً مدهشاً. كان في الكهف العديد من الأواني الفخارية التي تحتوي على مخطوطات جلدية ملفوفة في قماش من الكتان. ولأن الأواني كانت مغلقة بإحكام، فقد حفظت المخطوطات بحالة جيدة لما يقرب من 1.900 عاماً (تشير الأدلة إلى أنها وضعت في الكهف حوالي سنة 68م). وقد اشترى رئيس أساقفة دير السريان الأرثوذكس في أورشليم خمسة من هذه المخطوطات التي وجدت في الكهف الأول للبحر الميت، كما يطلق عليه الآن. بينما اشترى الأستاذ «سوكينيك» بالجامعة العبرية هناك ثلاث من هذه المخطوطات. وعندما اكتشفت هذه المخطوطات لأول مرة، لم يعلن عنها. وفي نوفمبر من عام 1947، وبعد أن اشترى الأستاذ سوكينيك بيومين ثلاث من هذه المخطوطات واثنين من الأواني الفخارية التي كانت بالكهف، كتب في مذكراته يقول: لعل هذا يعد واحداً من أعظم الاكتشافات في فلسطين، وهو اكتشاف لم نكن لنطمح إليه. ولكن هذه الكلمات لم تنشر آنذاك. وفي فبراير من عام 1948 أتصل رئيس أساقفة الدير، الذي لم يكن يعرف العبرية، بالمدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية في أورشليم وأخبرهم عن المخطوطات. وشاءت العناية الإلهية أن مدير المدرسة في ذلك الوقت كان عالماً شاباً يُدعى جون تريفر، وكان مصوراً هاوياً محترفاً. وبجهد شاق ومخلص قام بتصوير كل عمود من أعمدة المخطوطة الكبيرة لسفر إشعياء التي يصل طولها إلى 24 قدماً وعرضها 10 بوصات. كما قام بتحميض الأفلام بنفسه وأرسل بعض الصور منها بالبريد الجوي إلى الدكتور وف. ألبرايت في جامعة جونز هوبكنز، الذي كان يعتبر عميداً لعلماء الآثار الكتابية في أمريكا. وفي الحال أرسل رده بالبريد الجوي قائلاً: تهاني القلبية على اكتشاف أعظم مخطوطة في عصرنا الحديث. ياله من اكتشاف مذهل! لا يمكن أن يوجد ظل شك في العالم كله في أصالة هذه المخطوطة. وقال إنها ترجع إلى حوالي 100 ق.م.

هي جذاذات من ورق البردي ، والجلد (جلد الماعز أو الضأن)، وفي حالة واحدة من النحاس، والتي كانت يوماً ما أجزاء من كتب كاملة على شكل لفائف. وهذه اللفائف في الأصل هي ملك للإسنيين ، وهم طائفة يهودية اتخذت من كهوف قمران القريبة من البحر الميت موطناً لها. وثمة أكثر من مئة ألف جذاذة، يمكن تجميعها إلى بعضها، لتشكّل ما يزيد عن تسعمائة وثيقة منفصلة ، منها نسخ متعددة لمعظم الكتب ، على النحو الذي يتوقع المرء أن يجده في أي مكتبة . وقد وفرت لنا هذه الجذاذات مقتطفات واسعة من تسعة وثلاثين سفرًا ، هي عدد أسفار العهد القديم العبري (كما يسميه أغلب المسيحيين). وثمة جذاذات أيضاً تعود لما يسمى بكتب "الأبوكريفا"، و الأسفار القانونية الثانية، وعندما يشير الباحثون إلى لفائف البحر الميت ، فإنهم عادة ما يعنون بذلك تلك الوثائق الطائفية الخاصة بطائفة الأسنيين غير التوراتية مثل كتاب

قواعد ضبط السلوك أو وثيقة دمشق¹ ولأقدم جذاذات اللفائف تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد وهو زمن يبعد مائة أو مائتي عام عن وقت التأليف الأصلي لسفري الجامعة ودانيال وقبل إكتشاف اللفائف كانت أقدم نسخة لدينا من العهد القديم العبري تعود إلى القرن التاسع الميلادي أي أنها كتبت بعد كتابة لفائف البحر الميت بنحو ألف عام وبذلك فإن اللفائف تنقلنا إلى زمن هو أقرب ما يكون إلى الوقت الذي كتب فيه العهد القديم²، أسفرت الجهود التي بذلها بدو التعامرة والمؤسسات العلمية المختصة عن إكتشاف بعض المخطوطات شبه السالمة وعشرات الألوف من فتات المخطوطات التي كانت تشكل في الماضي ما يقارب 870 مخطوطة. تشمل هذه المخطوطات نصوصاً توراتية وأسفاراً منحولة بالإضافة إلى العديد من النصوص الخاصة بجماعة قمران. والجدير ذكره أن النصوص التوراتية المكتشفة هي على قدر كبير من الأهمية لأنها أقدم ما وصل إلينا من النصوص التوراتية المكتوبة باللغتين العبرية والآرامية قبل ضبط تلك النصوص على أيدي الماسورين². فقد جرى إكتشاف فتات تعود لنسخ متعددة من الأسفار التوراتية، منها حوالي 40 نسخة من المزامير، و 22 من نبوءة إشعيا، و 32 من سفر التثنية، و 14 لكل من سفري التكوين والخروج، و 7 من سفر اللاويين، و 4 من سفر العدد، و 3 من سفر القضاة، و 6 من نبوءة حزقيال، و 8 من نبوءة دانيال و 4 لكل من أسفار صموئيل وأيوب وراعوت وإرميا ونشيد الأناشيد الخ... علماً أن النصوص المكتشفة تمثل الأسفار التوراتية كافة باستثناء سفر أستير، وقد عثر على نصوص توراوية تتوافق مع الترجمة السبعينية كما عثر أيضاً على نصوص تتوافق مع توراة السامريين وتشمل هذه الأخيرة أسفار موسى الخمسة Pentateuque التي تبتها السامريون قبل قرون عديدة من ضبطها على يد الماسورين، وهي تتميز عن النص الماسوري بفروقات عديدة ومهمة وتتضمن مخطوطات البحر الميت بعض النصوص التوراتية المنحولة التي تعتبر مزيفة من أهمها: منحول التكوين ومنحول إرميا ومنحول موسى والمزامير المنحولة ومنحول حزقيال ومنحول يشوع وهناك نصوص لا تدخل ضمن لائحة الكتب المقدسة التي أقرها علماء اليهود في مجمع "جامنيا"³

(¹) وثيقة دمشق وهي كتاب الأحكام الإضافية لطائفة الإسينيين، والذي وجد في قمران على شكل لفيفة، بحث الجزء الأول منها الجماعة على التأمل في الدروس المستفادة من تاريخ إسرائيل، لتجنب مصير الأشرار المرتدين، أما الجزء الثاني فهو أحكام ضبط العضوية.

(²) ما هي لفائف البحر الميت وما أهميتها؟، تأليف: د. ديفيك نوبل فريدمان ص 6-7

(³) مخطوطات البحر الميت وسر أصحابها، د. كميل الخباز ص 27-29

أما من ناحية محتويات المخطوطات فقد عثر على :

1- أسفار العهد القديم:

أهم ما وصل إلينا منها كاملاً، سفر أشعياء النبي، وهو من نسختين إحداهما كاملة وتتفق في النص مع السفر المعتمد حالياً وإن اختلفت في بعض الفقرات والقراءات وفي هجاء بعض الكلمات، وأخرى متفقة نصاً مع النص المعتمد (الماسورتي). وتُعدُّ الليفة المدوّنة في أربعة وخمسين عموداً أقدم نسخة كاملة لسفر من أسفار العهد القديم. وبالإضافة إلى ذلك، عُثر على أجزاء عديدة من أسفار العدد وصموئيل¹.

2- تفاسير على أسفار العهد القديم:

وهي تفاسير متنوعة أهمها تفسير كامل لسفر حبقوق. وتُلاحظ اختصار الناسخ على إصحاحين فقط، وتُلقى التفاسير الضوء على الفترة التي عاشت فيها الطائفة القمرانية وعلى نظرتها للأحداث مثل دخول بومبي القدس وتناظر بينه وبين أحداث الماضي (دخول سنخريب للقدس)².

وهي كتفاسير لا يمكن الاعتماد عليها كعنصر تاريخي لتحديد العصر الذي عاشت فيه الجماعة فلم تمدنا تلك المخطوطات إلا بالندر اليسير عن ذلك العصر الذي عاشوا فيه ويقول فيرمز أن هناك أنماطاً ثلاثة من التفاسير القمرانية على العهد القديم :

النمط الأول : ذلك النمط الوارد على سفر التكوين وهو نص يضع أمامه النص الأصلي للعهد القديم مع وضع معالجة خاصة كنمط من أنماط التفسير لأسفار العهد القديم ، وتعد هذه هي أولى المحاولات للتفسير الهجادي لأسفار العهد القديم باختلاف وحيد أن النص القمراني لا يفصل بين النص الأساسي وما يضيفه هو من تفاسير.

النمط الثاني : هو ذلك الذي يعتمد على إيراد فقرات من العهد القديم ثم إيراد تفسير الطائفة عليها باعتبار أن الرب كشف لهم أسرار الحياة كلها وهو نمط من أنماط المدراس ومن ذلك :

(1-) تفسير على سفر حبقوق، (2-) تفسير على سفر أشعياء، (3-) تفسير على سفر ناحوم، (4-) تفسير على سفر هوشع

النمط الثالث : يتناولون فيه التعليق على فقرات متناثرة من الأحكام والآيات من العهد القديم ويقوموا بعد ذلك بعمل التفسير عليها أما بين الفقرات نفسها أو في نهاية كل فقرة على حدة ويمثل هذا النمط تناظراً مع كتابات التنايم وذلك يعني قرب الطائفة من المحاولات الأولى لتدوين التوراه الشفهية و التي تربط بين عنصري المرويات (هجادوت) و الفقرات التشريعية (هالاخوت) ومن أمثلة ذلك ما ورد من تفسير على سفري التكوين و المزامير³.

(1) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري

(2) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري

(3) مخطوطات البحر الميت - ليفة حرب ابناء النور ضد ابناء الظلام نموذجاً، فريد ، ابراهيم



وأوجدت مخطوطات قمران والمكتشفات الأخرى في صحراء اليهودية نظاماً جديداً وهو النظام القديم أى مخطوطات عبرية وواضح أن النساخ كانوا يعدون بعناية الجلد أو البردى الذي سيكتبون عليه وغالباً ما جعلوهم على شكل لفائف وكانوا يستخدمون خبراً نباتياً كانوا يحفظونه في محابر وكانت النصوص القديمة تكتب على اللفائف على وجه واحد فقط وكانت بعض الصفحات ترقم وبعد هذا كانت تخاط مع بعضها البعض وغالباً ما أعيد استخدام وثائق البردى بكتابة نصوص مختلفة على الوجه الثاني وكانت الأعمال القصيرة مثل الرسائل تدون على جذاذات صغيرة من المواد الكتابية من جلد أو بردى أو خشب أو فخار¹.

(1) النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت، غيزا فيرم ص 45

جماعة قمران وكتيها

هي جماعة عاشت على شاطئ البحر الميت من القرن الثاني قبل الميلاد حتى سنة 68م ودخول الجيوش الرومانية إلى أروشليم سنة 70م سمّاهم الأقدمون الأسينيين لارتباطهم بعالم الشفاء وهذه الجماعة قد اختفت قرون عديدة قبل أن تكتشف عن طريق الصدفة سنة 1947م بواسطة بعض البدو من قبيلة تعميرة ثم بدأت الحفريات بعد ذلك الوقت في ما يدعى اليوم "خربة قمران" حيث دلت التنقيبات على بقايا جدران وفخاريات وشقفة حفرت عليها حروف فينيقية وختم ملكي يعود بنا إلى الملك عزيا كما يذكر في (2أخ 10:16) ونصل إلى الربع الأخير من القرن الثاني ق.م. حيث حفرت الآبار وبنيت أفران من أجل صناعة الفخار ومنذ سنة 100 حتى الزلزال الذي حدث سنة 31 ق.م. وجدت أبنية من طابقين أو ثلاثة مع آبار بعضها ببعض بواسطة الخزانات والقنوات وهذا ما يدل على وجود جماعة كبيرة ومنظمة أما الحقبة الأهم فهي التي تمتد من بداية المسيحية حتى الدمار سنة 68م، وقد وجدت نقود عديدة في هذا الموضع فحددت الإقامة في خربة قمران وهذه النقود تعود إلى الحقبة اليونانية والرومانية منذ أنطخيوس السابع السلوقي (129-139 ق.م.) والملك الحشموني يوحنا حركانس (104-135 ق.م.) حتى آخر ملوك حشموني أنطخيوس (37-40 ق.م.) وتحدثت خمس قطع عن هيرودس الكبير وحكمه الطويل (37 ق.م. - 4 ب.م.) وذكر أرخيلائوس (4-6 ب.م.) الذي أشار إليه الإنجيل في عند الحديث عن طفولة يسوع وإقامة العائلة المقدسة في الناصرة (مت 2:22) كما ذكر الرومان وهيرودس اغريبا الأول ووجدت نقود تعود إلى السنة الثانية من الحرب ضد روما (68-67 م) في ذلك الوقت اختفى دير قمران من الوجود حتى بدأت التنقيبات سنة 1947م¹

اكتشاف مخطوطات قمران وصحة الكتاب المقدس:

وادي قُمران القديمة يقع على الشواطئ الشمالية الغربية للبحر الميت، وتعتبر هذه المخطوطات أو اللفائف، برغم حداثة اكتشافها، من أئمن مخطوطات الكتاب المقدس بل واكتشافات القرن العشرين لأنها ترجع للقرون الثلاثة السابقة للميلاد والقرن الأول الميلادي (من حوالي 280 ق.م إلى حوالي 133م)، وتزيد في متوسطها عن أقدم مخطوطة كانت بين أيدينا، قبل اكتشاف جنيزة القاهرة سنة 1889م، بحوالي 1150 سنة، وبالطبع فهي منقولة أو منسوخة عن نسخ أقدم منها بعشرات بل ومئات السنين، وبالتالي يقترب بعضها من زمن عزرا الكاتب، الذي جمع كل أسفار العهد القديم وأعاد تحريرها ونسخها بالروح القدس، بحوالي من 150 إلى 250 سنة، وقد يكون بعضها منقولاً عن النسخ التي نسخت في زمن عزرا نفسه، كما أن معظمها موجود من قبل تجسد الرب يسوع المسيح، الذي أكد صحة كل حرف وكل كلمة في

(1) كتابات قمران، الجزء الأول، الخورى بولس الفغالي ص13-14

أسفار العهد القديم، بقرنين أو ثلاثة قرون. وهى بذلك تؤكد الاستمرار الطبيعي غير المنقطع في تواصل النص الأصلي لأسفار العهد القديم ووصوله إلينا بكل دقة عبر الزمان والتاريخ وتبطل كل نظريات وأراء النقاد والليبراليين الذين زعموا دخول إضافات على بعض الأسفار، مثل المزامير، وتأخر كتابة البعض الآخر، مثل دانيال، للقرنين السابقين للميلاد مباشرة، أو القرن الأول للميلاد، مثل الجامعة، حيث وجدت أجزاء كثيرة لكل أسفار العهد القديم عدا سفر أستير فقط، وتتكون هذه المخطوطات من أربعين ألف قصاصة أمكن تجميع خمسمائة كتاب من بينها كتب عن قوانين الحياة في مجتمع قمران، وأصول التلمذة فيها، مع تفاسير لبعض الأسفار، وذلك إلى جانب المخطوطات الكتابية لأسفار العهد القديم. وتشمل هذه اللفائف كل أسفار العهد القديم عدا سفر أستير. وذلك إلى جانب الكتب الدينية الأخرى التي لطائفة الأسينيين اليهودية. وترجع أقدم اللفائف وهى لأسفار اللاويين والخروج وصموئيل إلى ما قبل سنة 250 ق م، إذ يرى العلماء لفة الخروج (من كهف 4) ترجع لسنة 250 ق م، ويرى بعضهم أن لفة لسفر صموئيل ترجع لحوالي 280 ق م، ويرى أحد العلماء أن هناك لفة لسفر اللاويين ترجع لسنة 400 ق م.، وقد كتبت هذه اللفائف في معظمها بالخط الآرامي، المربع، وهناك 10 لفائف تضم أسفار موسى الخمسة وأيوب كتبت بالخط العبري القديم. وكتب الاسم الإلهي "يهوه" أحيانا بهذا الخط القديم في بعض اللفائف الأخرى، وحتى سنة 1999م كان قد وجد عدد 233 مخطوطة وقصاصة من كهوف قمران الأحد عشر، هي: 18 مخطوطة لسفر التكوين + 3 قصاصات، و18 للخروج، و17 لللاويين، و12 للعدد، و31 للتثنية + 3 قصاصات، و2 ليشوع، و3 للقضاة، و4 لراعوث، و4 لصموئيل (الأول والثاني)، و3 للملوك (الأول والثاني)، وواحد لأخبار الأيام (الأول والثاني)، وواحد لسفر عزرا - تحميا، و4 لأيوب، و39 للمزامير + قصاصتين، و2 للأمثال، و3 للجامعة، و4 لنشيد الإنشاد، و22 لإشعيا، و6 لإرميا، و4 للمراثي، و7 لحزقيال، و8 لدانيال + قصاصة، و10 للأنبياء الصغار + قصاصة.، وأشهر هذه الأسفار هي التكوين والخروج والتثنية وإشعيا والمزامير ومن أحسن وأهم هذه المخطوطات لفتين لإشعيا وأجزاء كاملة من سفر صموئيل ولفة للمزامير وتفسير لسفر حبقوق. وفيما يلي أهم هذه المخطوطات الكتابية والكهوف التي وجدت فيها:

1- كهف Q1 (من 2/15 إلى 9/3/1949م) ويضم أجزاء كثيرة لأسفار التكوين واللاويين والتثنية والقضاة وصموئيل الأول والثاني والمزامير ولفة طويلة كاملة لسفر إشعيا (Q1Sa) ولفة طويلة، جزئية، أخرى لسفر إشعيا (Q1Sb) وحزقيال ودانيال (سفر إشعيا العظيم شاهد على أمانة الله من نحو كلمته. وفيه نرى الدقة التي توخاها الكتاب اليهود في نقل نصوص الوحي). وأجزاء من تفاسير للمزامير وميخا وحبقوق وصفنيا وذكريا. وأعمال أخرى غير كتابية مثل أخنوخ وأقوال موسى (ولم تكن معروفة قبلاً)، وسفر اليوبيل وسفر نوح، وشهادة لاوي وطوبيا وحكمة سليمان. وهناك أيضاً أجزاء من سفر دانيال وتشمل دانيال 2: 4 (حيث

تتغير اللغة من العبرية إلى الآرامية)، وقد وجد أيضاً في الكهف الأول أجزاء من شروح لأسفار المزامير وميخا وصفنيا.

والكهف Q1 اكتشفه راعي غنم بدوي عام 1947. وفي عام 1949 أجرى الأثريون تنقيبات أثرية في المغارة والتي أطلق عليها لاحقاً الأسم "الكهف رقم 1" عثر ولأول مرة بها على مخطوطات صحراء يهودا. وقد وجدت المخطوطات الأولى محفوظة جيداً كما يبدو لأنها خبأت داخل جرات الفخار كانت مغلقة بإحكام. المخطوطات التي عثر عليها في هذا الكهف أحدثت انقلاباً في وجهات النظر حول دراسة الديانات اليهودية والمسيحية القديمة. عثر الباحثون خلال الحفريات الأثرية في المغارة على 70 قطعة من المخطوطات تشمل مقاطع من المخطوطات السبع الأولى، المخطوطات الكبرى التي عثر عليها في المغارة رقم 1 هي: تقاليد الجماعة، حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام، مخطوطة الشكر، يشعياهو أ، يشعياهو ب، التكوين الخارجية، وتفسير حبقوق.

2 - كهف Q2 (مارس سنة 1952 م) ويضم أجزاء من حوالي مائة مخطوطة، منها مخطوطة لسفر التكوين ومخطوطتان لسفر الخروج وواحدة لسفر اللاويين وأربع مخطوطات للعدد واثنان أو ثلاثة للتثنية ومخطوطة واحدة لكل من إرميا وأيوب والمزامير ومخطوطتان لراعوث (وصفحة من لفة إشعيا B في قمران).

3 - كهف Q3 (1952/3/4 م) ويضم جذاذات من أسفار المزامير وإشعيا ومرثي وحزقيال ونصفيين لدرج نحاسي به خريطة ل 64 موقع سرى لكنوز مخفية.

عثر عليها خلال المسح الأثري عام 1952. تم العثور داخل هذه المغارة على جزآن من مخطوطة مميزة جداً كتبت على النحاس، وتشمل على لائحة لمواقع بمنطقة صحراء يهودا وضواحي القدس- من المحتمل أنها المواقع التي فيها تم دفن كنوز الهيكل. وفقاً للمخطوطة فأن الكنوز تشمل كمية كبيرة من الذهب، الفضة، النحاس والعطور. إضافة إلى المخطوطة من النحاس عثر في الكهف على 3 أجزاء تابعة لأثنى عشر مخطوطة نصوصها من التوراة وأيضاً ليس من التوراة، وفيها نسخة من سفر اليوبيلات.

4 - كهف Q4 (سبتمبر 1952 م) ويضم مئات المخطوطات (حوالي 400) منها حوالي 100 نسخة لأسفار العهد القديم كلها عدا سفر استير، منها جذاذات من سفر الجامعة، ومنها (قصاصة لسفر هوشع) لفة لسفر صموئيل (Q Samb4) تعتبر أقدم نسخة معروفة للكتاب المقدس وترجع للقرن الثالث قبل الميلاد (لسنة 280 ق م)، كما يوجد به عدد من التفاسير لأسفار المزامير وإشعيا وناحوم، كما توجد أسفار التثنية وإشعيا وإرميا والأنبياء الصغار بكثافة وهذا يدل على حب الدراسة لهذه الأسفار وتفضيلها عن بقية أسفار العهد القديم، كما وجد بهذا الكهف نسخة مهمة جداً لسفر دانيال تحتوى على (7:28؛ 8:1) الذي تتغير فيه اللغة من الآرامية للعبرية مما يؤكد قدم السفر وانتقاله عبر الأزمنة كما هو. ومن أهم

لفائف هذا الكهف أيضا تفسير لسفر هوشع (2: 8-14)، (Q164) مكتوب على رقوق في القرن الأول قبل الميلاد.

وقد عثر عليها البدو عام 1952، على الرغم من أن الأثريون كانوا ينقبون بجوار الكهف في خربة قمران. المغارة رقم 4 هي الأكثر شهرة من بين كهوف قمران، ذلك بسبب كمية القطع التي عثر عليها داخل المغارة والتي شملت: آلاف الأجزاء من المخطوطات المكتوبة، والتي تشكل 75% من مجموع المخطوطات التي عثر عليها في قمران. تشمل المخطوطات على نصوص من التوراة، نصوص رهبانية، تفسيرات للتوراة، نصوص دينية يهودية، صلوات، نصوص طائفية، تيفيلين والمزوزا. وجدت هذه القطع بالية جدا وعليها مخطوطات رثة من الصعب جدا دراستها.

5 - كهف Q5 (سبتمبر 1952م) ويضم جزءاً من سفر طوبيا إلى جانب جذاذات من أسفار التثنية والملوك 1و2 وإشعيا وعاموس والمزامير والمرثي (أنظر كهف 5 على يسارك).

6- كهف 6 (1952/9/27م) ويضم من بين جذاذاته برديات من أسفار التكوين واللاويين والتثنية والملوك ونشيد الإنشاد ودانيال، عثر عليها البدو عام 1952. عثر في الكهف على أجزاء من 31 مخطوطة، غالبيتها كتبت على ورق البردي، وفيها نصوص من التوراة، مزامير ونصوص طائفية. هذه المغارة الصغيرة هي الوحيدة، من بين جميع الكهوف التي عثر فيها على المخطوطات، التي من السهل وصولها زيارتها.

7 - كهوف من 7 إلى 10 وتضم أجزاء قليلة من أسفار العهد القديم، فقد عثر عليهم الأثريون عام 1955. عثر في المغارة على مخطوطات كتبت جميعها باللغة اليونانية القديمة ومن بينها ترجمة لسفر الاسماء. يعتقد بعض الباحثين ان المخطوطات من الكهف رقم 7 تشمل نصوص من العهد الجديد. المخطوطات من المغارة 8 تشمل نصوص من اسفار التكوين والمزامير وتيفيلين. كذلك عثر في الكهف على بقايا غذاء وسراج من الفخار وما يقارب 68 قطعة من الجلد لربط اللفائف، مما يشير الى ان الكهف هذا قد استخدم كورشة عمل لهذا الغرض. في الكهف 9 عثر على قطعة من مخطوطة واحدة كتبت على ورق البردي. في الكهف رقم 10 عثر على أوستراكون وهي قطعة فخار عليها كتابة.

8 - كهف Q11 (يناير وفبراير 1956م) ويضم لفة من أهم لفائف قمران تشكل أجزاء من 41 مزموراً (من مزمور 50 إلى 101) بما فيها مزمور 151 الذي كان معروفا في اللغة اليونانية فقط، مكتوباً على جلد سميك من العصر الهيرودسي، وذلك إلى جانب 36 مزمور آخر من المزامير التي تقع فيما بين 93 إلى 150، وثلاث نسخ منها جزء جيد من سفر اللاويين (Q11) وترجوم (تفسير) آرامي لسفر أيوب¹.

(1) عظمة الكتاب المقدس، القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير ص 45-50

وعثر عليها البدو عام 1956. آخر المخطوطات التي تم العثور عليها في كهف قمران حتى يومنا هذا. أكتشف فيها على بقايا ما يقارب 30 مخطوطة، ومنها بعض مخطوطات كاملة مثل سفر التلقين (بالخط العبري القديم)، سفر المزمور وترجمة باللغة الآرامية لسفر أيوب. أكثر المكتشفات تميزاً ولهفة للباحثين في هذا الكهف كانت مخطوطة الهيكل، الأطول من بين مخطوطات قمران، والتي هي نسخ طبق الأصل عن سفر الوصايا وسهب قواعد متعلقة بمدينة القدس والهيكل.

وادي المربعات (وادي الدرجة، MUR) - عثر عليه البدو عام 1951. عثر في خمسة كهوف المتواجدة في وادي المربعات على 170 مخطوطة يعود تاريخها لعهد ثورة بار كوخبا 132 - 135 ميلادي. تقع هذه الكهوف حوالي 18 كم الى الجنوب من خربة قمران. معظم هذه نصوص هي نصوص إدارية كتبت على ورق البردي، وتضم بعض من الشهادات الاقتصادية التي خلفها الهاربون أثناء الثورة. كذلك تم العثور على رسائل كتبها قائد الثورة "شمعون بار كوخبا" (ابن قوصيبة)، الى جانب نصوص من التوراة الأهم من بينها مخطوطة الأثني - عشر".

وادي الخويصرة (HEV) - عثر عليها البدو خلال سنوات الستينات من القرن العشرين قسم من المخطوطات التي تم شرائها من البدو عام 1952 وجدت مخبأة بداية في وادي الخويصرة الذي يقع بين عين جدي ومسادا. جريت بين الأعوام 1960 - 1961 حفريات أثرية واسعة النطاق في عشرة كهوف، تم خلالها العثور على واحدة من أكبر المجموعات للنصوص المكتوبة القديمة التي عثر عليها في صحراء يهودا. ويعود تاريخها لعهد "بار كوخبا" وتمضن وثائق شخصية للهاربين أثناء الثورة، رسائل عسكرية بين بار كوخبا وجنوده وبعض من نصوص التوراة.

كهف وادي الخويصرة 5-6 (Hev6/5) - في هذه المغارة المسماة "مغارة الرسائل"، عثر على وثائق فيها التواريخ 94 - 132 ميلادي. بين الوثائق ثلاث مجموعات:

- 15 رسائل باللغة العبرية، الآرامية واليونانية التي كانت قد دفنت دفخل اناء من الجلد. هذه الرسائل أرسلت من شمعون بار كوخبا (ابن قوصيبة)، قائد الثورة. وفي إحدى الرسائل يلقب "رئيس إسرائيل".
- مجموعة رسائل ملفوفة داخل محفظة من الجلد، تشمل 35 وثيقة مالية شخصية. الرسائل تابعة لامرأة أسمها "بابتا".
- خمسة عقود بيع تابعة لمزارع من عين جدي، أسمه العزار.

كهف وادي الخويصرة 8 (Hev8) - هذه المغارة لقببت بأسم "كهف الرعب" وذلك بسبب العثور على 40 هيكل عظمي للهاربين الذين أختبؤوا فيها خلال ثورة بار كوخبا. عثر في الكهف على ثلاث قطع من فخار عليها كتابة

(اوستراكون). وجدت هذه القطع موضوعة على الهياكل العظمية، كتبت عليها أسماء القتلى. النص الأكثر أهمية في هذا الكهف هو الأثني عشر الذي حفظ جيداً وكان مكتوباً باللغة اليونانية.

مجموعة سيال (XHev/Se) - مصدرها من عدة مواقع تشمل هذه المجموعة العديد من المخطوطات التي تم شراؤها لصالح متحف روكفيلر خلال سنوات الخمسينات من القرن العشرين. مصدر هذه المجموعة غير مثبت. وفقاً لما يدعيه البدو فمصدر تلك المجموعة هو وادي السيال، إلا أن الحفريات التي أجريت لاحقاً أثبتت عكس ذلك. بعض من النصوص في هذه المجموعة تبينت بانها تابعة لنصوص عثر عليها في وادي الخويبرة وكذلك لسند بيع مصدره وادي المربعات.

مغارة أبو شانغة في وادي الدالية (WD) - عثر عليها البدو عام 1962. تقع هذه المغارة حوالي 14 كم إلى الشمال من أريحا وعثر بداخلها على مجموعة من المخطوطات تشمل 40 مخطوطة من ورق البردي كتب باللغة الآرامية. كما وعثر على ختم و عملات نقدية و 205 هيكل عظمي. تشمل هذه المجموعة على وثائق قانونية سامرية يعود عهدها إلى الفترة الفارسية (القرن الرابع ق.م.)، وتحتوي على سندات بيع للعبيد. كان أصحاب هذه المستندات من السامريين الأغنياء الذين هربوا من منطقة السامرة بعد احتلالها بيد إسكندر المقدوني عام 333 ق.م. والذين قتلوا كما يبدو بيد جنوده.



أحد المخطوطات المكتشفة في قمران

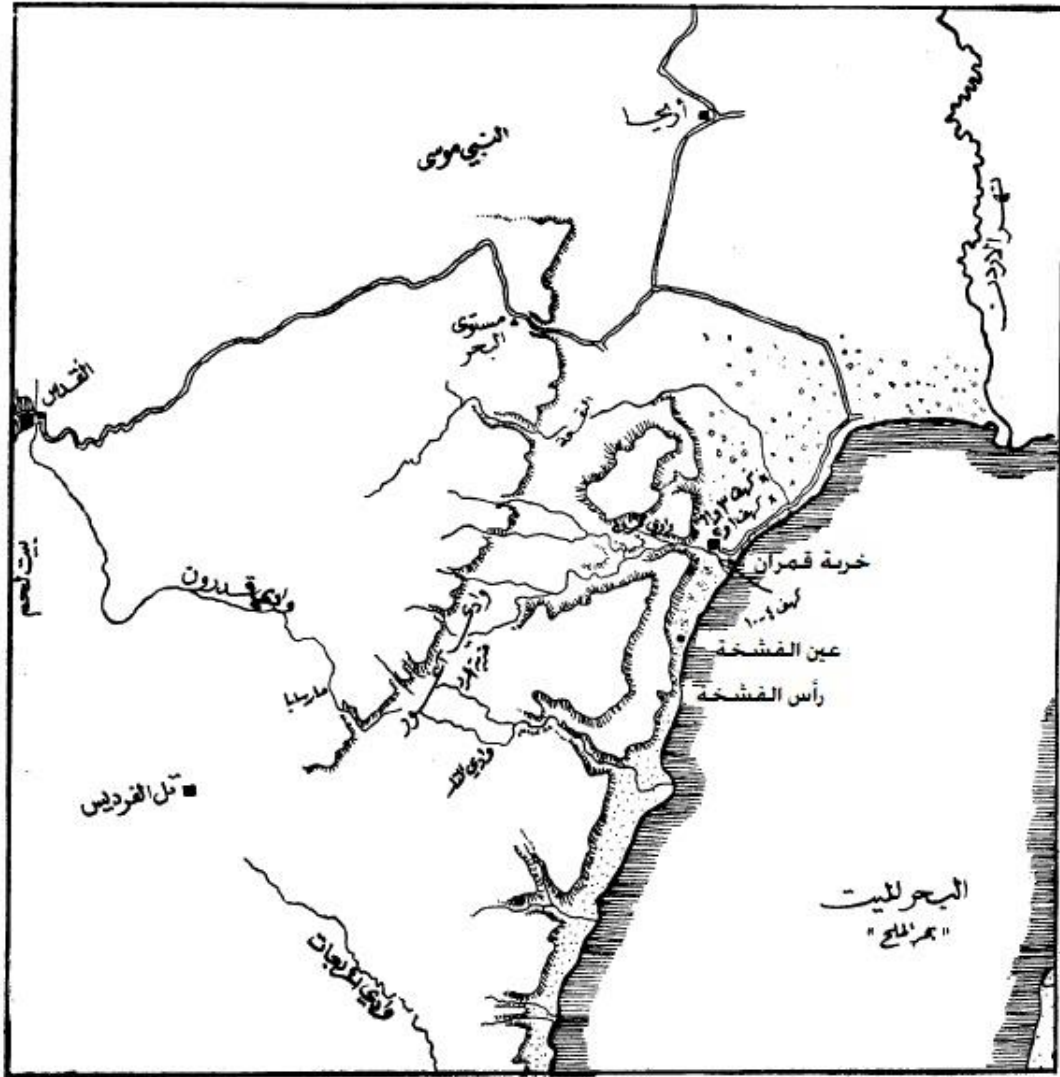
وعموماً نجد في مخطوطات قمران ثلاث أنواع من الكتب: النصوص البابلية أو نصوص الكتاب المقدس بعهدته القديم والنصوص المنحولة وأخيراً النصوص القمرانية التي تتحدث عن نظام الجماعة وحياتها ففي أحد عشر مغارة وجدت فيها كتابات اكتشف المنقبون 173 مخطوط تتضمن مقاطع كبيرة أو صغيرة من

جميع أسفار الكتاب المقدس ما عدا سفر أستير يزداد على ذلك مخطوطان يحملان مقاطع من سفرى اللاويين وأيوب فى اللغة الآرامية كما وجدت نصوص يونانية لأسفار الخروج واللاويين والعدد وبعض من رسالة إرميا التى تشكل فى بعض الترجمات الفصل السادس من بروخ وأكتشف العلماء أيضاً أربعة مخطوطات آرامية ومخطوطاً عبرياً لسفر طوبيا ومقطعين عبريين ليشوع بن سيراخ، ووجدت فى قمران كتب منحولة لم تكن تعرف إلا فى اليونانية وهى وصيات الآباء الإثنى عشر، أو فى اللغة الحبشية وهى كتاب أخنوخ واليوبيلات ووجدت مخطوطات من الأصل العبرى أو الآرامى من هذه الكتب كما أكتشفت نصوص لم تكن معروفة مثل صلاة نبونيد بالمغارة الرابعة ونصوص حول ملكيصادق ورؤى عمرام التى عرفها أوريجانوس ومزامير يشوع، والكتابات القمرانية تخبرنا بشكل دقيق عن تنظيم أخوة برية يهوذا ومثالها نذكر منها: نظام الجماعة ووثيقة صادوق أو وثيقة دمشق التى عرفت فى مخطوطات تعود إلى القرن العاشر والحادى عشر وقد وجدت فى مخبأ القاهرة سنة 1896م ثم نظام حرب أبناء النور ضد أبناء الظلمة ونظام الحلقة أو الأخوة الذى ارتبط بنظام الجماعة مع كتاب المباركات وجميع هذه الكتب وجدت فى المغارة الأولى مع بضعة مقاطع فى المغارات الأخرى وأطول مخطوط هو "درج الهيكل" وقد أكتشف فى المغارة الحادية عشر، وهناك "المدائح" تلك المجموعة الشعرية التى فيها يحدثنا الكاتب عن خبرته الروحية فى خط سفر المزامير والتفاسير لإشعيا وهوشع وميخا وناحوم وحبقوق ومزمور (37، 57، 68) وأيضاً هناك ترجوم سفر التكوين¹

كانت الجرار الفخارية التى حفظت بها المخطوطات ذات شكل خاص وحجم محدد فهى اسطوانية الشكل يزيد ارتفاعها قليلاً عن نصف المتر مسطحة فى أعلاها وفى أسفلها وكان هذا النوع من الجرار ينتج عادة فى مصر خلال القرنين السابقين على العصر المسيحى مما يدل على أن شكل الجرار ونظام المخطوطات فى داخلها كان مأخوذاً عن العادات المصرية فلم يكن هذا النوع من الفخار ينتج فى فلسطين وكانت عادة حفظ المخطوطات فى جرار فخارية هى عادة مصرية قديمة نشأت منذ عهد الملك رمسيس الثالث من الأسرة العشرين خلال القرن الثانى عشر قبل الميلاد²

(1) كتابات قمران، الجزء الأول، الخورى بولس الفغالى ص 14-15

(2) مخطوطات البحر الميت، تأليف: أحمد عثمان ص 28-29



مخطوطات البحر الميت - محمود العابدي

أهمية مخطوطات قمران

تقدم مخطوطات قمران معلومات هامة عن النص الأصلي لأسفار العهد القديم في وقت نسخها في القرنين السابقين لظهور المسيحية فبدراستها يتضح أن بعض الفروق في القراءات تمثل التقاليد التي كانت موجودة في تلك الفترة وأولها كان موطنه بابل والثاني موطنه مصر والثالث موطنه فلسطين وهي الأماكن الثلاث للتجمعات اليهودية الكبرى فالتقليد البابلي تمثله المخطوطات التي حملها العائدون من السبي البابلي إلى فلسطين في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد وتشمل القراءات الفلسطينية القديمة المستخدمة في فلسطين منذ القرن الخامس قبل الميلاد وتمثل هذه الخلفية مخطوطة إشعياى الأولى من الكهف الأول بقمران التي ترجع إلى القرنين الثاني أو الأول قبل الميلاد، والتقليد المصرى هو النص العبراني الذي يبدو أنه كان موجوداً مع اليهود الذين هاجروا إلى مصر ويرجع ربما إلى القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد وهو الذي منه تمت الترجمة السبعينية في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد وهو يتفق مع التقليد الفلسطيني الذي رجع إليه كاتب سفر الأخبار في القرن الخامس قبل الميلاد وتشهد لهذا التقليد المسجل في الترجمة السبعينية بعض مخطوطات قمران العبرانية خصوصاً أسفار صموئيل والملوك وقد قدمت هذه المخطوطات العبرانية شهادة لدقة الترجمة السبعينية اليونانية فلم يعد العلماء يقولون عن الترجمة السبعينية إنها ترجمة بتصرف وهم الآن يتعاملون معها بمنتهى التقدير والجدية كمرجع هام للتوصل إلى القراءات العبرانية الأصلية ولا يستبعدون أن الترجمة تمت في مصر من مخطوطات عبرانية استحضرت خصيصاً من فلسطين في وقت عمل الترجمة، واستمرار النسخة في بابل نتجت عنه بعض قراءات وصلت إلى فلسطين في العصر الهليني وتعرف باسم النص الفلسطيني وقد تبناه فيما بعد الماسوريين في تثبيتهم للقراءة بالتشكيل ولذا يطلق عليه العلماء النص الماسورى الأولى وتوجد هذه القراءات الماسورية الأولى في المخطوطة الثانية لسفر إشعياى من الكهف الأول بقمران وهي متأخرة بنحو قرن من الزمان عن مخطوطة إشعياى الأولى وهذا يعنى أن تقاليد النصوص الكتابية العبرانية المنسوخة في قمران هي التقليد الفلسطيني القديم والتقليد المصرى المماثل للترجمة السبعينية والتقليد الماسورى الأول ولكنه يتفق أيضاً في بعض المواضع مع القراءة السبعينية اليونانية، كما دحضت مخطوطات قمران آراء بعض ناقدى الكتاب المقدس الذين كانوا يعتقدون بأن أسفار الأنبياء القدامى والمتأخرين أُدخلت إليها بعض الإضافات في وقت متأخر حتى القرن الأول قبل الميلاد ولكن مخطوطات قمران لهذه الأسفار تتضمن الأجزاء التي كان ناقدوا الكتاب المقدس يفترضوا أنها إضافات متأخرة فثبت بطلان رأيهم لأن تلك المخطوطات المنسوخة في قمران ترجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد وهي منسوخة عن نسخ أقدم منها¹

(1) مخطوطات الكتاب المقدس بلغاته الأصلية، الدكتور إميل ماهر إسحق ص 26-28

لقد كتب النص العبري بالخط المربع أو الحروف الآرامية وهي نفس الحروف التي لا تزال تستعمل في الطباعة العبرية وأن أشكال الحروف التي اتستعملت في مخطوط إشعيا وغيره من مخطوطات البحر الميت لتشبه المخطوطات الفلسطينية التي تعود إلى القرن الأول قبل ولادة المسيح كما أن الأخرى المختلفة واضحة في شكلها تماماً لدرجة أنه لا يمكن أن يحصل أى إلتباس بين حرف وآخر كما يحدث عادة في المخطوطات القديمة الأخرى ويبدو أن النص كان قد فحص وصحح بدليل وجود كلمات كثيرة كانت قد كتبت خطأ ثم حذفت وأدخلت التصحيحات عليها كما أن التصحيحة بالحرف أو الكلمة واحدة أجريت بوضوح بخط الكاتب نفسه وبعضها أصلحته أيد أخرى وكذلك الأخرى والكلمات المخرومة التي كتبها الناقل كانت تدخل فوق السطر غالباً ولما كان لا يوجد متسع بين السطور لجميع المخرومات كانت تجرى الإدخالات في الهامش من الجهة اليسرى بشكل عمودي وهناك أدلة كثيرة في نقاط واضحة تشير إلى أن الكاتب الناقل قد ترك فراغاً لشيء كان ناقصاً أو غير واضح في المخطوط الذي كان يكتبه وإن الأجزاء المخرومة من النص كانت تنقل عادة من مخطوط إلى آخر فيما بعد، فنسخة مخطوط إشعيا نسخة كاملة كتبت قبل ميلاد المسيح على الأقل بمائة سنة وقد أثبت صحة هذا التاريخ التجربة العملية لكربون 14 الذي أثبت أن الكتان الذي لفت فيه هذه الرقوق أخذت من نبات نما في عهد السيد المسيح وأن الأواني الخزفية التي وضعت فيها يعود صنعها إلى سنة 100 ق.م ويضاف إلى ذلك النقود التي وجدت بجانبها أيضاً ويظهر أن هذه الرقوق الجلدية كانت محفوظة عند أصحابها قبل أن تؤخذ وتلف في الكتان وتحفظ في الجرار حتى يوم اكتشافها¹ أيضاً ترجع أهمية الكتب التي عثر عليها في قمران أنها ترجع على الأقل إلى القرن الثاني قبل الميلاد أى قريباً من الزمن الذي تمت فيه الترجمة السبعينية اليونانية وكان سفر إشعيا هو أول ما تم ترجمته من مخطوطات قمران ونشر عام 1952م ولم سوى إختلافات بسيطة عن النص العبري المازورى يمكن إعتبارها أخطاء إملائية أو إختلاف في طريقة تركيب الجمل²

أيضاً ترجع أهمية مخطوطات قمران أنه كان يفترض عموماً قبل ظهور مخطوطات قمران أن نقل النص العبري إلى الآرامية الشعبية خصوصاً أثناء القراءات الإلزامية للكتابات في المجمع كان يتم دوماً قبل عهد الربانيين بطريقة شفوية وبفضل مكتشفات قمران نملك حالياً ترجمات آرامية تسمى التراجم لأسفار اللاويين وأيوب في صيغة مكتوبة وكان مخطوط اللاويين أنجز في القرن الثاني ق.م، وتظهر هذه التراجم ما كان يفترض دوماً أن شعب فلسطين في زمن الهيكل الثاني أى في القرن السادس ق.م وحتى سنة 70 م كان يجهل العبرية لحد كبير وأن هذا هو السبب الذي دعا إلى ظهور صيغة نصية آرامية للنصوص الكتابية

(1) مخطوطات البحر الميت، محمود العابدى ص73-74

(2) مخطوطات البحر الميت، تأليف: أحمد عثمان ص34

والواقع أن أغلب مخطوطات قمران تقدم نصوصاً عبرية وهذا يتلائم مع حاجات نخبة متعلمة و متمسكة بالتقليد تماماً كما كان الأسانيون في العصور الوسطى¹

أيضاً تزود مكتشفات قمران علماء الكتاب المقدس بكثير من المواد الأخرى المهمة من مخطوطات كتابية وتفسير واستشهادات تفتح لهم منافذ متعددة على تاريخ النصوص وتظهر الترجمات المنجزة بتصرف لبعض المواد الكتابية طرائق فهم جديدة كثيرة للتقليد الكتابي وهي مهمة جداً لفهم تعاليم يسوع والعهد الجديد وتعطينا الصيغ الأخرى لقوانين التوراة كما يقدمها نص لفافة الهيكل ومجموعة مؤلفات أخرى سابقة لمؤلفات الأسانيين فكرة عن محيط الكهنوت الأورشليمي وعن مادة التقليد المقدس ويعود هذا النوع من المؤلفات الذي وصل إلينا عن طريق مكتشفات قمران إلى الزمن الفارسي والهلينسي الأول بين القرن السادس وسنة 175 ق.م تقريباً²

(1) الأسانيون وقمران ويوحنا المعمدان ويسوع، هارتموت شتيغيمان، تعريب: الأب خليل شحادة ص153

(2) الأسانيون وقمران ويوحنا المعمدان ويسوع، هارتموت شتيغيمان، تعريب: الأب خليل شحادة ص154

المقارنة بين مخطوطات قمران والمخطوطات الحالية

منذ ألف سنة كان اليهود ينسخون النصوص بدقة تامة ويصححونها بعناية فائقة حسب النص الرسمى أو المصور ومن ثم فإن المخطوطات القديمة البالية كانت تهمل أو تلقى في جنيذة وكانت النتيجة أنه لم يصل إلينا مخطوطات عبرية للعهد القديم أقدم من مخطوطات القرن التاسع بعد الميلاد وكل المخطوطات الموجودة تتفق تقريباً اللهم إلا في بعض التفاصيل الضئيلة¹

مخطوط إشعيا

مخطوط إشعيا هو المخطوط الوحيد الذى يحتوى على سفر كامل من التوراة والاختلافات القليلة بين مخطوط إشعيا والنص الماسورى يمكن تفسيرها بأنها أخطاء في النسخ فضلاً عن ذلك فهناك اتفاق ظاهر مع النص الذى وجد في مخطوطات القرون الوسطى وإن مثل هذه الموافقة في مخطوط قديم كثيراً ما تعطى بينة مطمئنة على الدقة العامة في النص القديم وأنه لمن دواعى الدهشة أنه لم يجر إلا تغيير طفيف على النص خلال ما يقرب من ألف سنة بينها وبين مخطوطات القرون الوسطى وهنا تظهر أهميتها الرئيسية لتؤيد اخلاص وصدق التقاليد للمسورين²

وسوف يتم تناول الاختلافات بين المخطوط وهذه الاختلافات عددها ثلاثة عشر

1-الاصحاح (19:60) "لا تكون لك بعد الشمس نوراً في النهار ولا القمر ينير لك في الليل" فالنص التقليدى يحذف كلمة الليل إلا أنها موجودة في اليونانية واللاتينية القديمة والآرامية وكذلك في مخطوط المطران
2-الاصحاح (19:51) "اثنان هما ملاقيك من يرثى لك؟ الخراب والانسحاق والجوع والسيف فمن يعزيك؟"، فالنص المسور في آخر سطر يقول "كيف يمكنى أن أعزيك" أما النسخ اليونانية والسريانية واللاتينية فتتفق مع المخطوط

3-الاصحاح (4:14) "كيف باد الظلم بادت الغطرسة الوقحة" فبدلاً من الغطرسة الوقحة يوجد في الترجمة السابقة "المدينة الذهبية" وهذا ما إلا محاولة لاعطاء معنى لكلمة عبرية لا يعرف معناها الحقيقى إن كان لها معنى على الاطلاق وإن الكلمة التى تحل محلها في مخطوط إشعيا تختلف عنها في أنها تحتوى على حرف (ر) بدلاً من حرف (د) وفي أشكال الهجاء العبرى يبدو هذا الحرفان متشابهين كثيراً وغالباً ما يلبس الأمر وفي هذه الحالة لا تحتوى النسخ اليونانية والسريانية واللاتينية على نفس القراءة تماماً ولكن فيها قراءات أخرى يبدو أنها توافقها إلى حد معين

4-الاصحاح (2:45) "أنا أسير أمامك والهضاب أمهد"، النص التقليدى يقرأ "الأماكن الوعرة" بدلاً من الجبال والفرق في المعنى بسيط

(1) مخطوطات البحر الميت، محمود العابدى ص 291-292

(2) مخطوطات البحر الميت، محمود العابدى 293

5-الاحاح (12:56) "هلموا ... يقولون ... دعونا نأخذ خمراً"، النص التقليدي يقرأ "دعنى أخذ خمراً" ولكن صيغة الجمع تناسب القرينة أكثر وفي هذه الحالة تتفق العبارة اللاتينية والآرامية والسريانية ولكن ليس السبعينية مع مخطوط المطران

6-الاصحاح (24:49) "هل تسلبان الجبار غنيمة وهل يفلت المنصور" والنص المسور يقرأ هنا "سبى رجال الحق"

7-الاصحاح (30:14) "ولكن أميت أهلك بالجوع وسأذبح بقيتك" والنص التقليدي الذى هو "هو سيقتل"

8-الاصحاح (9:15) "لأن مياه ديبون تمتلئ دماً" والنص التقليدي "لأننى أجعل على ديبون زوائد"

9-الاصحاح (24:3) "وعوض المنطقة حبل ... وعوض الجمال عار"، آخر كلمة "عار" غير واردة فى النص المسور

10-الاصحاح (8:21) "ثم صرخ الذى رأى: أيها السيد أنا قائم على المرصد" وفى النص المسور هو الذى رأى "ثم صرخ كأسد"

11-وفى الاصحاح (2:23) "اهدأوا يا سكان الساحل يا تجار صيدا رسلكم عبروا فوق البحر وكانوا على مياه كثيرة"، فنجد أن إذا ترجم السطر الثانى والثالث حرفياً من هذه المقطوعة فى النص المسور كان "تاجر من صيدا يمر فوق البحر هم ملأوك"، ونجد إن الكلمة العبرية التى تقابل هم ملأوك مناسبة كثيراً للكلمة التى فى المخطوط السرياني والتى تعنى "رسلكم" وهكذا يكون الاختيار بين القرائتين مسألة حكم موضوعى ليتناسب الواحد والآخر مع القرينة ومع ذلك نجد أن القراءة فى النص المسور قد جعلت المترجمين أن يتصرفوا فيها بحرية أوسع

12-الاصحاح (8:33) "نكث العهود واحتقر الشهود" فبدلاً من الشهود فى النص المسور "مدن" فأصبحت "رذل المدن" وهذه هى احدى حالات الالتباس بين حرفي (د) و حرف (ر)

13-الاصحاح (8:45) اقطرى أيتها السموات من فوق ... لتنتفح الأرض فيثمر الخلاص" وفى المخطوط "حتى يثمر الخلاص منها" وفى النص التقليدي "حتى تجلبوا الخلاص" والفرق بين القرائتين ليس كبيراً



ماتاثياس



ألكسندر جانيوس (103 - 76 ق.م)

أحد العملات التي وجدت في كهوف قمران

ويذكر محمود العابدي: عثر المنقبون على نص من سفر الخروج يقرب من النص الوارد في الترجمة السبعينية ما عدا اختلاف واحد وخلصته أن الأنفس الخارجة من صلب يعقوب في مصر خمسة وسبعون كما هي في خطاب القديس اسطفانوس الأول أما في التوراة الحالية فعددتهم سبعون، ووجد في الكهف رقم 11 كتاب المزامير كاملاً وفي حالة جيدة مكتوب على جلد الماعز وهو يزيد بمزمور واحد عن المزامير المئة والخمسون "أنا أصغر أخوتي ومن بينهم الرب اختارني لأنقذ شعبي"¹

ويذكر محمود عثمان: كان سفر إشعياء هو أول ما تم ترجمته من مخطوطات قمران ونشر عام 1952 ولكنه لم يظهر سوى اختلافات بسيطة عن النص العبري المازوري يمكن اعتبارها أخطاء إملائية أو اختلاف في طريقة تركيب الجمل وعندما نشر فرانك موركروس أحد الخبراء المسؤولين عن ترجمة النصوص جزءاً من سفر صموئيل الذي جاء من الكهف 4 وتبين أن هناك اختلاف بينه وبين النص المازوري ولكنه عندما قام بمقارنته مع النص في الترجمة السبعينية اليونانية وجده يتفق يتفق اتفاقاً كاملاً معه²، ويذكر أيضاً محمود عثمان: أنه ليس هناك أي نص ضمن المخطوطات التي عثر عليها في منطقة قمران سواء المنشور منها أو ماتم اخفاؤه يؤثر تأثيراً سلبياً على تعاليم السيد المسيح بل على العكس من ذلك فإن ما عثر عليه من مخطوطات في قمران³.

(1) مخطوطات البحر الميت، محمود العابدي ص 77-78

(2) مخطوطات البحر الميت، أحمد عثمان ص 34-35

(3) مخطوطات البحر الميت، أحمد عثمان ص 102

موقع قمران

خربة قمران هي اسم لموقع أثري مهتمدم يقع في المنطقة التي اكتشفت فيها كهوف المخطوطات ، وتبعد حوالى 12 كم الى الجنوب من مدينة أريحا . شيدت أبنية قمران على رابية جرداء مسطحة القمة تقع في أسفل الجرف الصخري ، وهي ترتفع خمسين متراً عن شاطئ البحر الميت ، كما تبعد عنه مسافة كيلومتر واحد تقريباً. تتخذ خربة قمران اسمها من وادي قمران الوعر الذي يحدها من الجنوب شاقاً مجراه عبر الجرف الصخري ، كما يحدها من الشمال والغرب وهناك سهل منبسط الى الشرق من الخربة ، يليه منحدر وآثار لطرق قديمة. توجد مقبرة تبعد خمسين متراً لناحية الشرق من خربة قمران ، وهي تضم 1100 مدفن كما توجد مقبرتان ثانويتان تضمان مئة مدفن تقريباً ، تقع إحداهما على السهل الصخري الكائن في شمال الخربة ، والأخرى لناحية الجنوب وعلى مسافة 4,5 كم الى الجنوب من خربة قمران ، يندفع الجرف الصخري نحو البحر فيشكل رأساً يدعى "رأس فشخة تنمو الى الشمال من الرأس المذكور نباتات هزيلة بالقرب من ينابيع قليلة العذوبة ، أهمها "عين فشخة" كان يحيط بتلك الينابيع واحة من النخيل والأشجار، وتشرف عليها خربة تسمى "خربة فشخة" وقد أثبتت التنقيبات الأثرية ارتباط "خربة فشخة" تاريخياً بخربة قمران وإهتم علماء الآثار بخربة قمران خلال تنقيباتهم الأثرية في الكهوف، فأرسلوا بين سنتي 1951 و1956 خمس بعثات للتنقيب عن الآثار فيها ، أسفرت عن كشف معالمها وتطور العمران فيها . وقد تبنت إرتباط خربة قمران بالكهوف والمخطوطات المكتشفة فيها نظراً للعثور في خربة قمران على أوان فخارية مشابهة لتلك التي عثر عليها في الكهوف. وقد لاحظ الأب دوفو الذي أشرف على التنقيبات الأثرية ، أن الخربة المذكورة مرت بمراحل سكنية متعددة ، وهي التالية:

أولاً العهد الاسرائيلي

كشفت أعمال التنقيب الأثرية أن أطلال خربة قمران شيدت خلال عصور مختلفة . فالمداميك السفلى الكائنة في الزاوية الشمالية الغربية من البناء الرئيسي تختلف في حجم حجارتها وسماكة البنيان عن سائر ما تبقى من جدران قائمة . كان البناء في الأصل مستطيل الشكل ، يتألف من فناء فسيح لجهة الغرب ومن غرف متعددة بمحاذاة السور الشرقي . ويوجد في الناحية الغربية ، خارج البناء، أرض مسورة تحتوي على صهريج مستدير الشكل، تتجمع فيه مياه الأمطار عبر قناة تخترق أسفل الجدار الشمالي . والصهريج المذكور هو الوحيد من نوعه في قمران من حيث شكله المستدير. كما وأن تصميم البناء مشابه للقلع الاسرائيلية التي تم اكتشافها في النجب أو في سهل البقيعة الواقع في الهضبة المطللة على خربة قمران ساعد حطام الفخار المتواجد في ذلك الموقع على تحديد الحقبة التي بنيت فيها القلعة . فالحطام المذكور يعود الى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد وقد عثر على مقبض وعاء خزفي عائد الى نهاية عهد الملكية ، عليه ختم محفور عبارة "الى الملك " . وفي المستوى الأثري عينه ، وُجدت طبقة من الرماد تدل على أن القلعة احترقت

ودمرت بشكل عنيف . ويحتمل أن يكون ذلك قد تزامن مع سقوط مملكة يهوذا في مطلع القرن السادس قبل الميلاد

ثانياً الحقبة السكنية الأولى (أ)

مرت قرون عديدة قبل أن تأتي مجموعة ثانية من البشر للسكن في قمران غير أن دوفو لا يجد أي رابط بين هذه الحقبة السكنية والحقبة السابقة فيما تبقى من أطلال القلعة الاسرائيلية أستعمل كنقطة إنطلاق للسكان الجدد وقام هؤلاء بإجراء تعديلات طفيفة على تصميم البناء، فزادوا مساحته من الناحية الغربية عن طريق إطالة الحائط الجنوبي ووصله بالحائط الغربي المجاور للصهريج المستدير بحيث صار هذا الأخير ضمن البناء وحفروا بالقرب من الصهريج المذكور، صهريجين مستطيلي الشكل مع حوضين للتصفية كما شيدوا بعض الغرف ، ورمموا السور الشمالي المتهدم، وبنوا فرنين للفخار مكان الغرف الشرقية الجنوبية المدمرة وهناك صعوبة في تحديد بداية هذه الحقبة السكنية التي لم يتبق منها سوى حطام الفخار وبعض الأوعية التي وجدت في الناحية الجنوبية من البناء الرئيسي وهي لا تختلف في شكلها عن الفخاريات العائدة لمرحلة السكن التالية كما أنها لم تكن مقرونة بأي نوع من العملات وبسبب ندرة الآثار العائدة للمرحلة الأولى يرى دوفو أن تلك الحقبة السكنية كانت قصيرة الأمد، وباعتقاده أنها إنتهت مع بداية الحقبة السكنية التالية أي في عهد يوحنا هرکانوس (135-104 ق.م).

ثالثاً الحقبة السكنية الأولى (ب)

تشير دلائل العملات المتواجدة إلى أن أبنية قمران كانت مسكونة بشكل مؤكد في عهد اسكندر حناني حوالي عام (102-76 ق.م) وقد اتخذت هذه المرحلة السكنية شكلها النهائي تقريباً ، فبلغت مقاييسها ما يقارب 80 متراً من الشرق إلى الغرب و 140 متراً من الشمال إلى الجنوب . وأصبحت تتألف من بناء رئيسي يقع في الجهة الشرقية ومن فناء في الوسط ثم أجنحة تضم عدداً من المشاغل الكائنة في الجهة الغربية وتحيط بالصهريج الثلاثة التي تعود للفترة السكنية السابقة ويوجد في القسم الجنوبي الغربي من البناء الرئيسي قاعة مربعة مؤلفة من قسمين ، تحاذيها من الشرق قاعة كبرى للإجتماع طولها ثلاثة عشر متراً وعرضها أربعة أمتار يلها للاحية الشرق فناء مكشوف يؤدي شمالاً إلى مطبخ تحيط به غرف ومخازن. ويوجد في الناحيتين الجنوبية والجنوبية-الشرقية من البناء الرئيسي أربعة صهاريح للمياه تتوسطها قاعة كبيرة يبلغ طولها إثنان وعشرون متراً وعرضها أربعة أمتار ونصف ، وهي عبارة عن قاعة اجتماع وتستعمل أيضاً كقاعة طعام وهناك غرفة أخرى تقع جنوبي قاعة الطعام وتشكل معها زاوية قائمة ، عثر فيها على حطام أكثر من ألف وعاء من الأواني المطبخية أما البناء الثانوي الغربي ، فقد أضيف إليه عدد من المخازن وأنشئ في قسمه الجنوبي صهريج كبير للمياه واصطبيل للدواب في هذه الحقبة السكنية ، حفرت قناة لنقل مياه السيول التي تعبر وادي قمران خلال فصل الشتاء ، وهي تتصل بشبكة من القنوات الداخلية وأحواض التصفية

والصهاريج . ومن الواضح أن تلك الشبكة المتطورة لنقل المياه تؤكد وجود عدد مهم من أعضاء جماعة اختارت العيش في الصحراء، وكان التموين بالمياه يعتبر مسألة جوهرية بالنسبة إليها . ولم تكن خربة قمران في تلك المرحلة ، حصناً أو قرية ، بل مؤسسة لجماعة تعيش حياة مشتركة . فغرف النوم تشغل حيزاً ضيقاً بالنسبة إلى الأمكنة المخصصة للإستعمال العام ويحتوي البناء الثانوي على عدد من المخازن . ولا يوجد سوى مطبخ واحد واصطبل واحد ، بينما هناك العديد من المشاغل وقاعات الاجتماع . وأشار دوفو إلى أن نهاية هذه الحقبة السكنية سببها زلزال لا تزال معالمه ظاهرة في الصهريجين الواقعين شرقي البناء الرئيسي حيث تهدمت جهتها الشرقية وهبطت 50 سنتماً كما تزعزع الحائط الشرقي للبرج وحصلت أضرار في أجزاء مختلفة من البناء وقد حدد تاريخ حصول الزلزال في ربيع سنة 31 ق.م. وتدل طبقة من الرماد عائدة إلى تلك الحقبة السكنية على حصول حريق ربما حصل بسبب الزلزال ويظهر أن الأضرار التي لحقت بالأبنية أو بنظام المياه المتصدع لم تصلح فوراً بل بقيت المياه تنحدر من وادي قمران وتسيل عبر قناة المياه الرئيسة فتنجم ترسيباتها في حوض التصفية الأول خارج البناء ، ثم يفيض منه لتغمر الفسحة المحاذية للسور ويشكل طبقة سميكة من الطين فوق ترسيبات الرماد الناتج عن الحريق

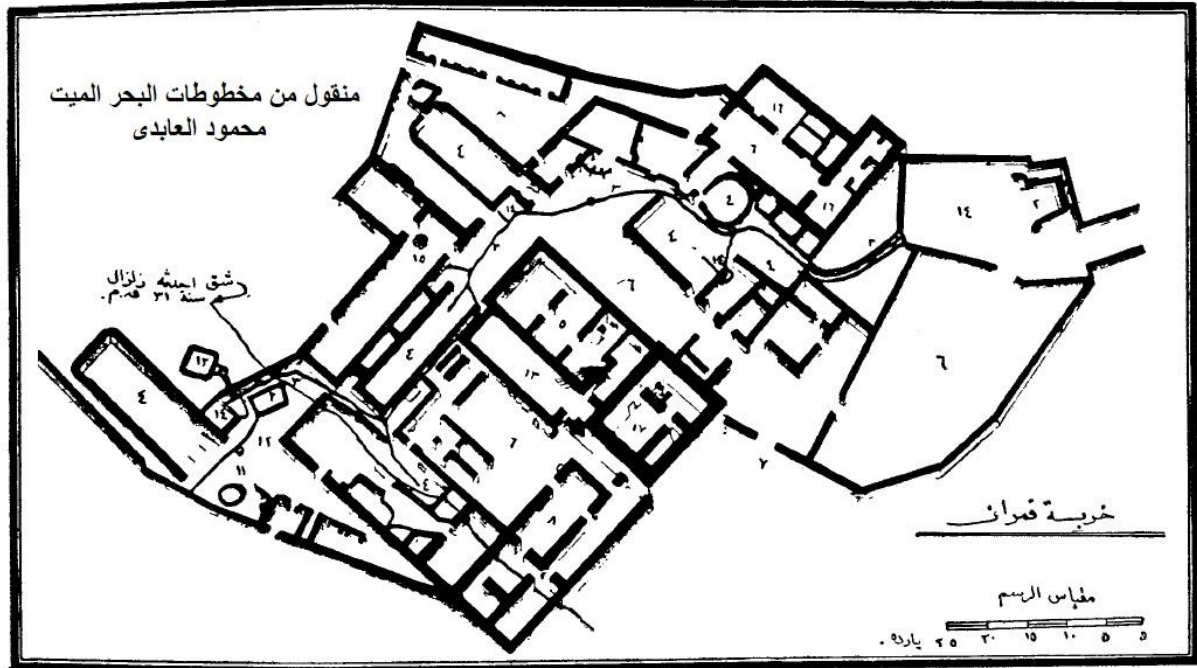
رابعاً الحقبة السكنية الثانية

رأى دوفو أن الحياة عادت إلى موقع قمران بعد مدة وجيزة من الزمن كما وأن الجماعة السابقة نفسها عادت وسكنت فيه . وقام القادمون بترميم الأبنية التي حافظت على تصميمها الأصلي ، باستثناء بعض التعديلات الطفيفة خلال تلك الحقبة جرى استحداث عدد من التعديلات في البناء الثانوي فقد أثبتت التنقيبات الأثرية وجود إحدى الصناعات التي تحتاج إلى نار قوية والكثير من الماء . كما تم إنشاء موقد كبير من الطوب وموقد آخر صغير في مشغل يقع إلى الجنوب من الصهريج المستدير . غير أنه لم يعثر على أي دليل يساعد على تحديد نوع الصناعة التي كانت تمارس في ذلك الموضع وفي الجنوب الشرقي من المشغل المذكور بنيت مطحنة . وفي الفناء الواقع بين البنائين الرئيسيين والثانوي ، تم إنشاء غرفتين ، تحتوي إحداهما على فرن للخبز وأجريت بعض التعديلات في شبكة المياه . إذ ألغي حوض التصفية الأول الكبير الواقع خارج الأبنية بسبب تراكم الترسبات فيه ، واستبدل بحوض آخر صغير يقع عند مصب القناة الرئيسة وفي البناء الرئيسي صرف النظر عن استعمال الصهريجين اللذين تضررا بسبب الزلزال وسدت منافذ المياه إليهما

قاعة الكتابة

لا شك أن أهم التعديلات التي قام بها سكان قمران خلال الحقبة الثانية هو استحداث قاعة للكتابة كائنة في الطابق الأول فوق قاعة الاجتماع الكبرى . يبلغ طول قاعة الكتابة ثلاثة عشر متراً وعرضها أربعة أمتار على مثال قاعة الاجتماع الكبرى التي تقع تحتها مباشرة وقد أشار دوفو إلى تواجد تلك القاعة في الحقبة السكنية (الأولى-ب) دون أن يحدد أو يؤكد وجهة استعمالها أثناء تلك الفترة بل ترك أمر تحديد استعمالها

كقاعة للكتابة خلال حديثه عن الحقبه السكنية الثانية من مخلفات القاعة المذكورة حطائم لطاولة من الآجر المغطى بالجص الأملس بلغ طولها 5 أمتار وعرضها 40 سنتمترًا وارتفاعها 50 سنتمترًا كما عثر على حطام طاولتين آخرين لهما مواصفات الطاولة الكبيرة ذاتها ولكنهما أقصر طولاً بالإضافة الى مائدة من الجص قليلة الارتفاع كانت مستندة إلى الحائط الشمالي من القاعة وهي تحوي فجوات مخصصة للماء الذي يتطهر به الكتاب عند الشروع بالعمل . وعثر أيضاً في الموضع عينه على محبرتين من العصر الروماني لا تزال إحدهما تحتفظ في قاعها بقايا ناشفة من الحبر الأسود وكانت الطاولة الكبيرة موضوعة بموازاة الحائط الشرقي في القسم الجنوبي من قاعة الكتابة وهي تتصل عند أسفلها بمقعد خشبي مجصص قليل الارتفاع ، كان في الأصل مثبتاً في الحائط المذكور وأشار بادلي إلى أن المواصفات القديمة للمكتبات وغرف النوم يفترض أنها تكون مواجهة للشرق لكي تؤمن لها شمس الصباح الإنارة والدفء وتزيل الرطوبة المتكونة أثناء الليل وهذه الشروط تتناسب تماماً مع قاعة الكتابة المواجهة للشرق التي ربما كانت قاعة المنامة الكبرى لسكان الحقبه السكنية السابقة¹

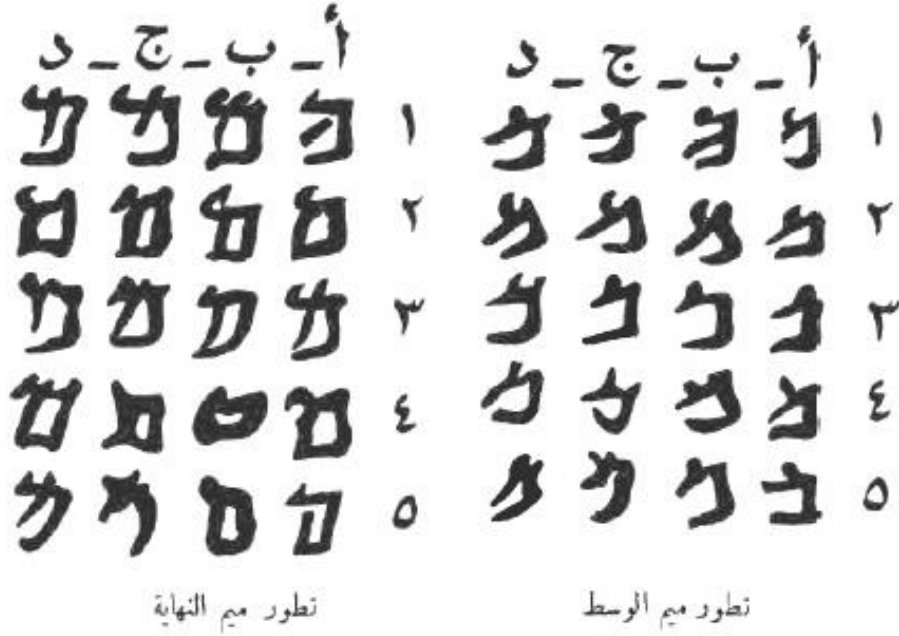


(١) المدخل المائي ، (٢) حمامات ، (٣) قناة الماء ، (٤) صهاريج للمياه ، (٥) غرفة المجلس ، (٦) قاعات ، (٧) المدخل ، (٨) المطبخ (٩) غرفة الاجتماع والاكل ، (١٠) المدبغة ، (١١) فرن الفخار ، (١٢) مشغل الفخار ، (١٣) مكان النسخ ، (١٤) احواض الترسيب (١٥) منصة الخطابة ، (١٦) غرف الحزن ، (١٧) البرج .

(1) مخطوطات البحر الميت وسر أصحابها، د. كميل الخباز ص 15-20

لقد كان سكان قمران يعنون باستنساخ الأسفار المقدسة وغيرها وأنهم أفرزوا لهذه الغاية قاعة معينة فأقاموا فيها الموائد والمقاعد للكتابة وأشأوا المغاسل للتطهير قبل البدء بالعمل نظراً لقدسية ما كانوا يفعلونه ويلاحظ أن بعض محابريهم باقية أعلى يومنا هذا وأن حبرها لا يزال راسباً في قاعها وأن هذا الحبر هو نوع الحبر الذي كتبت به الدرّوج وهو مزيج من الكربون غير النقي وماء ومادة صمغية خال من المواد المعدنية كما وضح ذلك الدكتور مارولد بلندر لايت العالم الخبير في المتحف البريطاني وهكذا فإنه يجوز القول أن بعض الدرّوج استنسخ في قمران نفسها يوم أن كانت أهلة بالمتزهدين العابدين أي بين أواخر القرن الثاني قبل الميلاد وسنة 70 بعد الميلاد، وإذا كان بعض هذه الدرّوج قد استنسخ في قمران بالمذكور فمتى تم استنساخ البعض الآخر؟ فليس هناك مخطوطات مؤرخة تعود إلى القرن الأول بعد الميلاد أو إلى القرن الأول قبل الميلاد فتصلح للمقابلة مع خطوط هذه الدرّوج لتعيين تاريخها بالضبط ولكن هناك نقوشاً كتابية تعود إلى النصف الأول من القرن الأول بعد الميلاد ونقوشاً أخرى تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد يمكن اعتمادها وأخذها مرجع للتطبيق وبعض هذه النقوش من النوع الجغرافي الذي لا يختلف كثيراً عن الكتابة بالحبر على رق أو ورق بردي والإشارة هنا إلى أسماء الأموات التي خطت بسرعة بزواوية أزميل على النووايس الحجرية لدى درج الجثث فيها ومعظم هذه النقوش الجغرافية تعود إلى النصف الأول من القرن الأول بعد الميلاد ولدينا من نقوش تل الجزر ما يفيدنا عن ميزات الخط العبري في القرن الأول قبل الميلاد ومن نقوش حصن طوبيا في شرق الأردن ما يمثل خط القرن الثاني قبل الميلاد وهناك بردية ناش Nash التي تعود على الأرجح إلى هذا القرن نفسه وأقدم من هذه وتلك برديات ادفو وأسوان، ويلاحظ رجال الاختصاص في تطور الخط العبري أموراً أخرى تفيدهم في تعيين زمن الكتابة منها محاولة ربط الحروف بعضها ببعض التي راجت في بعض الحقب دون سواها أو بين جماعات دون سواهم ثم انقرضت في أثناء القرن الأول بعد الميلاد، وتتألف الأدلة البيولوجرافية من جميع هذه الأنواع التي ذكرت فتدل على أن درّوج قمران كتبت بين السنة 300 قبل الميلاد والسنة 68 أو 70 بعد الميلاد، ولا يجوز الأخذ بفروقات النصوص بين ما وجد في قمران وبين ما يعتبر النص المسوّر (النص المسوّر Masoretic هو النص المضبوط بالشكل العبري المعروف وأي نص مسوّر يدل على أنه أصبح متفق عليه معمولاً به عند السنة 132 بعد الميلاد) لتعيين زمن كتابة الدرّوج كما لا يجوز اعتبار الاتفاق بين هذه النصوص جميعها دليلاً على الزمن الذي استنسخت فيه درّوج قمران فمجرد الاتفاق في النص بين الدرّوج وبين المسوّر لا يدل في حد ذاته على أن الدرّوج نسخت بعد تسوير النص فالنصوص المسوّرة ليست دليلاً في حد ذاتها على أن الدرّوج سابقة للنص المسوّر، ولكن هناك فرقاً في اللغة بين نص بعض هذه الدرّوج والنص المسوّر، ويرى آخرون أن حصر التهجئة بالحروف الساكنة الصحيحة وعدم ضبطها بالشكل أو بحروف العلة يحير القارئ ولو كان من أبناء اللغة التي يقرأ وأن اللجوء إلى ضبط النصوص بأحرف العلة سابق لضبطها بالشكل كما جاءت في النص المسوّر وهكذا فإن ظاهرة الاختلاف في تهجئة الكلمات لاتعين الباحث على تعيين الزمن الذي كتبت

فيه هذه الدروج وهناك اختلافات في مد حروف العلة واختلافات تحريك أواخر الضمائر تشير إلى عصر سابق لعصر النص المسوّر¹



| | |
|--|--|
| السطر الاول : اشكال الميم في درج اشعبا | السطر الاول : اشكال الميم في درج اشعبا |
| السطر الثاني : اشكال الميم في كتاب النظم | السطر الثاني : اشكال الميم في كتاب النظم |
| السطر الثالث : اشكال الميم في التعليق على حبقوق | السطر الثالث : اشكال الميم في التعليق على حبقوق |
| السطر الرابع : أ) القسم «الف» من مخطوطة دمشق ب) القسم «باء» من مخطوطة دمشق ج) الف دورة الفرات (الصالحية) د) الف وادي المربعات | السطر الرابع : أ) القسم «الف» من مخطوطة دمشق ب) القسم «باء» من مخطوطة دمشق ج) الف دورة الفرات (الصالحية) د) الف وادي المربعات |
| السطر الخامس : أ) نقش حوزيا ب) بردية ناش ج) بردية ادفو د) بردية أسوان | السطر الخامس : أ) نقش حوزيا ب) بردية ناش ج) بردية ادفو د) بردية أسوان |

مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران للدكتور أسد رستم

قارن جذاذات اللاويين الموجودة في الكهف الأول علماء فن قراءة المخطوطات القديمة بعناية فائقة مع مخطوطة ميشع التي تعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد وما على القبور الحجرية السامرية ومع مخطوطة

(1) مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران، أسد رستم ص22-29

سلوان التي ترجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد وما على أيادي الجرار من دمغات وختوم ترجع إلى القرن السادس والسابع ومع رسائل لآخيش في القرن السادس ومع أيادي الجرار التي هي أحدث منها والعائدة إلى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ومع العملة اليهودية التي تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد ثم العملة اليهودية التي تعود إلى القرنين الأول والثاني الميلاديين ثم مع المخطوطات السامرية التي تتسلسل في تواريخها من القرن الثاني الميلادي حتى القرنين الثامن أو التاسع الميلاديين، وفي مخطوط إشعيا وكتاب النظام كثير من الخطوط القصيرة الأفقية كما يوجد خط ينتهي بعقفة وتوجد بقع كثيرة وعلامات عديدة متقنة الصنع على هوامش هذه المخطوطات فبعضها يمكن أن يشير إلى نهاية القراءة أو لإعتبارها كأنها وثيقة رسمية ذات أهمية خاصة وبعضها يمكن أن يكون لجلب الإنتباه لأخطاء في النسخ تتطلب تصليحاً وأثبتت الحفريات وجود محابر في خربة قمران ولكن المواد التي صنع منها الحبر كانت غير كافية لتقديم إثبات يتعلق بزمن المخطوطات بالرغم من أن الحبر القديم المعدني لم يستخدمه اليهود قبل الثاني أو الثالث لميلاد المسيح وأيضاً لم يستخدم في رسائل لآخيش في القرن السادس قبل الميلاد وتتجه مجالات البحث إلى تحديد الزمن التاريخي الذي يمتد من 300 ق.م. إلى 66 أو 70 ق.م. لجعله الزمن الذي كتبت فيه كل هذه المخطوطات¹ ويذكر محمود العابدي رداً على الدكتور أحمد سوسة الذي نادى بأن التوراة كتبت في الأصل بلغة المصريين: لم يعثر على أي باحث يشير إلى هذه الحقيقة التي تقول أن لغة اليهود كانت عندما جاءوا إلى فلسطين اللغة المصرية الهيروغليافية وإن كانت الدلائل كلها تشير على أن التوراة التي رويت ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد كانت بلغة عبرية متطورة غير التي كانت يتكلم بها موسى النبي أما على عهد موسى نفسه فكل شيء في التوراة يدل على وجود صحف مكتوبة وربما منقوشة على الحجر²

تحليل الخطوط الواردة في مخطوطات قمران

أهتم علم التأريخ الخطي (الباليوجرافي) بتحديد تطور الخط عند جماعة ما مثل جماعة قمران للتعرف على هويتهم و العصر الذي عاشت فيه الجماعة من خلال مدوناتهم كما تعد دراسة الخط قرينة هامة ليلتمس بها الباحثون الاختلاف الذي حدث بين الخطوط التي دون بها العهد القديم وهو ما أدى إلى الانشقاق الطائفي و الذي ترتب عليه أيضاً اختلاف الصيغ النصية للعهد القديم . و قد أصبح من المتفق عليه بين الباحثين لجوء العبرانيين إلى الخط الكنعاني الذي ساد في فلسطين حينذاك فلم يكن للعبرانيين خطأ قومياً مستقلاً بهم ويشير درايفر في هذا الصدد إلى أن انهيار السيطرة الفارسية على المنطقة أدى إلى تحرر بعض الشعوب من استخدام خط ملزم لهم . وقد أحدث الانشقاق الطائفي و العقائدي و القبلي بين اليهود أثره في تحول بعضهم إلى خط بذاته مختلفاً عن الآخرين ومن أهم دلائل ذلك التطور إلي جاء مواكباً

(1) مخطوطات البحر الميت، تأليف: محمود العابدي ص 217-219

(2) مخطوطات البحر الميت، محمود العابدي ص 90-91

للتطور الذي يحدث في الخطوط المجاورة بين اللغات السامية هو اختلاف رسم أحرف (כמלאך) وعدم وجود صورة محددة لهم و يعلل ذلك الباحث مولير فيرنبرج بإمكانية وجود بعض الأفراد يعيشون في ذات العصر وتكون بينهم سمات فردية فارقة في كتابة أحرف بعينها و بالتالي ليس أمراً علمياً دقيقاً أن نبحت عن شكل واحد ثابت لرسم الحرف فقد يمكن أن يكون هناك اتجاه للكتابة بالحرف القديم مثلاً و يوافق في الرأي كاليه الذي لاحظ اختلاف صورة الأحرف النهائية بين نص اشعيا الأول ونص نظام الجماعة فنجد مثلاً في نص اشعيا كلمة כמלאך بدلاً من כמלאך. أفاد لكثير من الباحثين بأن تحليل خطوط مخطوطات البحر الميت و قراءتها لا يفي بالحاجة لأن موادها الصالحة للمقارنة ليست كافية , و الموجود منها لا يمكن تأريخه بالضبط , فلا نستطيع القول بأن هناك مخطوط بعينه يعود الى سنة معينة أو حتى عر سنين و لكننا نستطيع أن نقرر الزمن التقريبي كقولنا أنه يعود الى نصف القرن أو ربع القرن¹.

أما من حيث السمات الإملائية

فهو يختلف فمن خلال البحث في مخطوطات قمران عثر على عدة سمات إملائية مشتركة بين نصوص قمران و النصوص السامرية و يعللون ذلك من خلال تشابه الظروف الاجتماعية و الدينية بين الطائفتين و الذي نتج عنه بالتبعية تشابه السمات الإملائية بين النصين، كما تميزت مخطوطات قمران إملائياً بسمة الإشباع الكامل لحركات الضم و الكسر فنجد مثلاً كلمة כמלאך بدلاً من כמלאך الأمر الذي جعلنا نستنتج أن تلك المخطوطات كتبت في عصر قريب من عصر كتابة الترجمة السبعينية أيضاً. ومن أهم السمات الصوتية الإملائية سقوط الأحرف الحلقية بالمخطوطات أو حتى الخلط بينها فنجد مثلاً في سفر اشعيا : כמלאך بدلاً من כמלאך سقوط حرف العين כמלאך بدلاً من כמלאך أو כמלאך سقوط حرفي الألف و الهاء כמלאך بدلاً من כמלאך سقوط حرف الهاء وربما نعلل ذلك السقوط للأحرف الحلقية و الخلط بينها إلى التأثير الشديد بالفترة اليونانية²

(1) مخطوطات البحر الميت - لفيفة حرب ابناء النور ضد ابناء الظلام نموذجاً، فريد , ابراهيم

(2) مخطوطات البحر الميت - لفيفة حرب ابناء النور ضد ابناء الظلام نموذجاً، فريد , ابراهيم

زمن كتابة مخطوطات قمران

تعددت آراء أهل الاختصاص حول الفترة الزمنية التي كتبت خلالها مخطوطات البحر الميت ولا شك أن تلك الآراء تأثرت بالفكرة المسبقة المكونة عن المصادر الكلاسيكية والقائلة بنشأة الأسينيين منذ زمن بعيد، كما تأثر الباحثون بنتائج الحفريات الأثرية في خربة قمران التي أثبتت عدم تبدل الناحية العمرانية في ذلك الموقع بشكل جوهري خلال الحقبين السكنيتين الأولى (ب) والثانية ، أي منذ الثلث الأخير من القرن الثاني ق.م . حتى سنة 68 ميلادية وقد اعتقد "ميليك" أن مخطوطات البحر الميت كتبت منذ أواخر القرن الثالث ق.م . لغاية سنة 66 م . وشدد على أن القسم الأكبر منها صنف في القرن الأول قبل الميلاد والقرن الميلادي الأول ولعله قصد بعبارة "القسم الأكبر" المخطوطات الخاصة بجماعة قمران بما فيها النصوص التوراتية التي أعيد نسخها في قاعة الكتابة الكبرى، وبحث "كروس" في الناحية الباليوغرافية للمخطوطات ، أي لناحية تطور أشكال كتابة الحروف عبر الزمن ، فقال بوجود ثلاث حقبات من الكتابة ، وهي التالية : الحقبة القديمة (150-200 ق.م) والحقبة الحشمونية (30-150 ق.م) والحقبة الهيرودية (30 ق.م-70م) وأكد أن المخطوطات التوراتية تنتمي الى الحقبة القديمة وما بعدها وباعتقاده أن المخطوطات المتعلقة بجماعة قمران كتبت ونسخت خلال الحقبين الحشمونية والهيرودية، ورأى "بوروز" أن النصوص غير التوراتية ألقت جميعها خلال مدة زمنية تبلغ 135 سنة أى منذ سنة 175 ق.م إلى سنة 40 ق.م ويرى أن مخطوطات "نظام الحرب" و"المدائح" وسفر إشعياء نسخت جميعها خلال النصف الأول من القرن الميلادي الأول . وأكد الباحث المذكور أن "تفسير حبقوق" هو من أحدث مخطوطات البحر الميت، وبفضل الإشارات التاريخية الواردة في "تفسير حبقوق" بخصوص شعب "كتيم" رأى عدد من الباحثين وفي طليعتهم "دوبون-صومر" ، أن زمن تأليف الدرج المذكور حصل في الفترة التي سبقت مباشرة سقوط أورشليم بيد الرومان سنة 63 ق.م . أو الفترة التالية لها. وقدر عدد من الباحثين ، ومنهم "غيلبير" و"بوروز" ، أن "نظام الجماعة" كتب بين سنتي 175 و75 ق.م كما رجح "كرميفياك" زمن تأليف درج "المدائح" بين سنتي 200 و150 ق.م في حين جعله "دوبون-صومر" بعد سنة 63 ق.م. وتراوحت تقديرات كل من "كرمينياك" و"دوبون-صومر" و"بورايك" بخصوص زمن تأليف "نظام الحرب" بين عامي 175 ق.م. و 63 ق.م.، بينما حدد "يادين" تاريخ تأليف الدرج بين سنتي 63 و 4 ق.م . ، واعتقد "لينييه" أن زمن تأليف "منحول التكوين" يقع بين نهاية القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الميلادي الأول وبحث "درايفر" في المخطوطات مستنداً إلى دلائل الإلماء والخصائص اللغوية ، فأعتبر أن زمن كتابتها يتراوح بين مطلع القرن الثالث وأواخر القرن الخامس بعد الميلاد مع ترجيحه الفترة الأخيرة من الحقبة المذكورة وأعتقد "تايشر" Teicher أن المخطوطات لم تصدر عن شيعة يهودية إنما عن شيعة قديمة من اليهود-النصارى ، تعرف باسم الأبيونيين وقد أصاب "بوروز" رفض آراء الباحثين الذين أعتقدوا أن مخطوطات البحر الميت كتبت منذ أواخر القرن الميلادي الأول فصاعداً، لأن حججه سقطت بفضل شهادة علم الآثار التي أكدت استحالة أن تكون إحدى المخطوطات

قد صيغت بعد سنة 70 م. وأضاف أن نتائج الأبحاث المتنوعة يتوافق حول حقبة تاريخية تقع بين سنتي 300 ق.م. و 70 ميلادية ، جرى خلالها تأليف المخطوطات ونسخها¹

ومن المخطوطات التي تم الكشف عنها في الكهف الأول فقد اكتشفت لقي أثرية وجرار ذات شكل مميز وأغطية من الكتان (أستخرجت من الكهف الأول) كان ذلك اكتشافاً لوثائق هي بقية باقية لتسعمائة مخطوطة تقريباً وأن يكتب سفر إشعيا بالعبرية هو أمر متوقع ولا يستغرب كذلك تدوين شروح سفر حبقوق بالعبرية. لكن المثير للدهشة اكتشاف كتابات غير توراتية مكتوبة باللغة العبرية المقدسة فمن الواضح أن العبرية كانت ما تزال لغة حية في التأليف وربما أيضاً في الخطاب وأنها لم تكن قد استبدلت بعد باللغة الآرامية بشكل كامل. وما لم يكن معروفاً أن المخطوطة التي لم تعرف هويتها حينها والتي تحوي "سفر التكوين الأبوكريفي كانت مكتوبة بالآرامية كما هو حال مائة وعشرين مخطوطة أخرى يمثل ذلك خمسة عشرة في المائة من المجموع الكلي للمخطوطات²

بعد السبي البابلي حوالي سنة 500 ق.م. أستبدل اليهود الكتابة المربعة بكتابتهم الخاصة والكتابة المربعة نجدها في مخطوطات البحر الميت لا يزال اليهود يدونون بها كتاباتهم حتى يومنا هذا في الألفية الأولى قبل الميلاد هجر الإنسان الألواح الطينية وانتقل الى استخدام مواد جديدة للتدوين عليها فأستخدم ورق البردي ، الذي يتم أنتاجه من قصب البردي ، ويكثر نموه على ضفاف نهر النيل (وفي جنوبي العراق). كما أستخدمت كِسَر الجرار الفخارية للكتابة عليها بالحبر فضلاً عن تدوين النقوش الكتابية على الحجر . وفي القرون المتأخرة قبل الميلاد شرع الإنسان كما أسلفنا بالكتابة على الرِّق (جلود الحيوانات) وهي تحديداً المواد التي دُونت عليها مخطوطات البحر الميت، وتبعاً لذلك يمكننا الأستنتاج بأن المخطوطات قد تم تدوينها في حوالي المئة الخامسة قبل الميلاد لأن اليهود لم يسبق لهم استخدام الخط المربع قبل ذلك التاريخ كما لم يستخدموا الرِّق للتدوين غير أن العلماء كانوا أبعد ما يكون عن الرضا بالتأكيد على أن المخطوطات ترقى الى الفترة اللاحقة للمئة الخامسة قبل . حيث كان المرء يأمل في التوصل الى تحديد أكثر دقة لتاريخها . وقام العديد من الخبراء بمقارنة نمط الكتابة العبرية المستخدمة في تدوين اللفائف مع نصوص الورق النادرة (التي عُثِر عليها في مصر) والتي يُعتَقَد أنها تعود الى القرون القليلة القريبة من ميلاد المسيح وأستقر رأيهم على أن المخطوطات يرقى عهدها الى الفترة ذاتها . بينما زعم خبراء آخرون أن تلك النتائج جديرة بالثقة ، لذلك أصبح لزاماً على الباحثين إجراء سلسلة من الأبحاث الطويلة لمقارنة نتائج البحث فأسفرت العملية عن أستكشاف علمي ممتع وقد أستخدم الكربون الذري لتحديد عمر اللفائف الجلدية التي أستخدمت في كتابة المخطوطات³

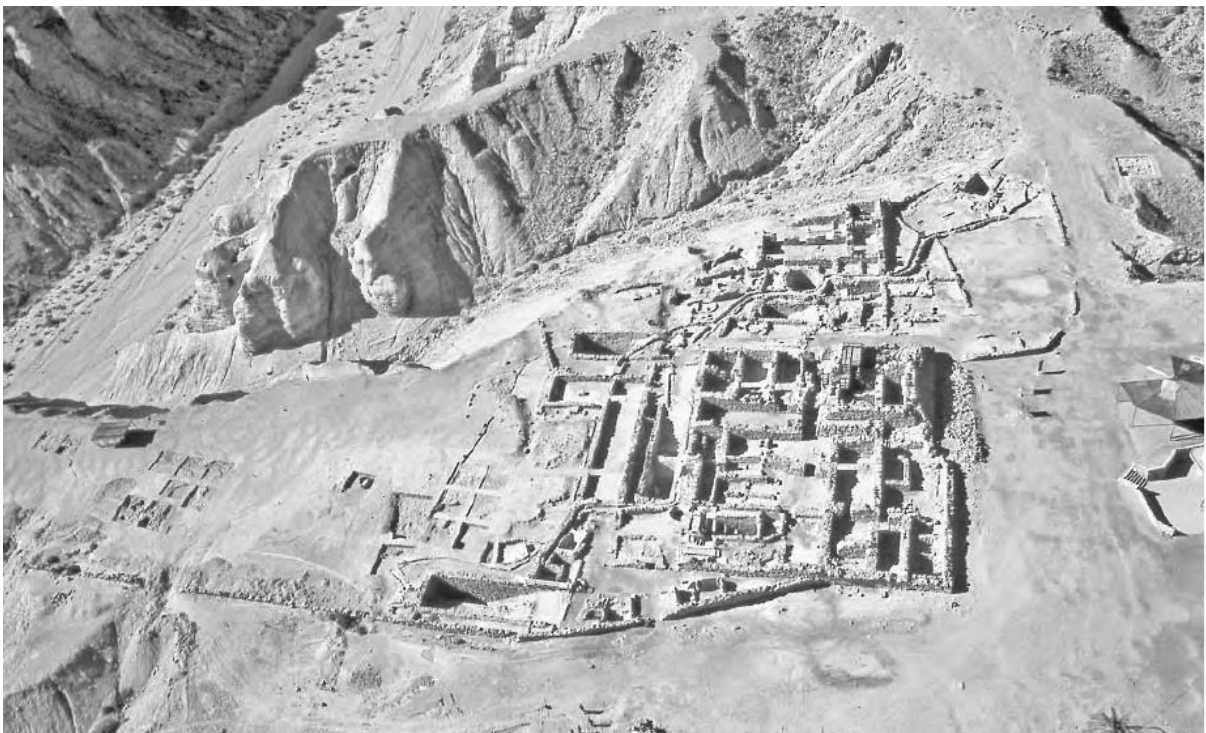
(1) مخطوطات البحر الميت وسر أصحابها، د. كميل الخباز ص 163-165

(2) مخطوطات البحر الميت بعد خمسين عاماً على إكتشافها، أيلين م. شولر ص 3-4

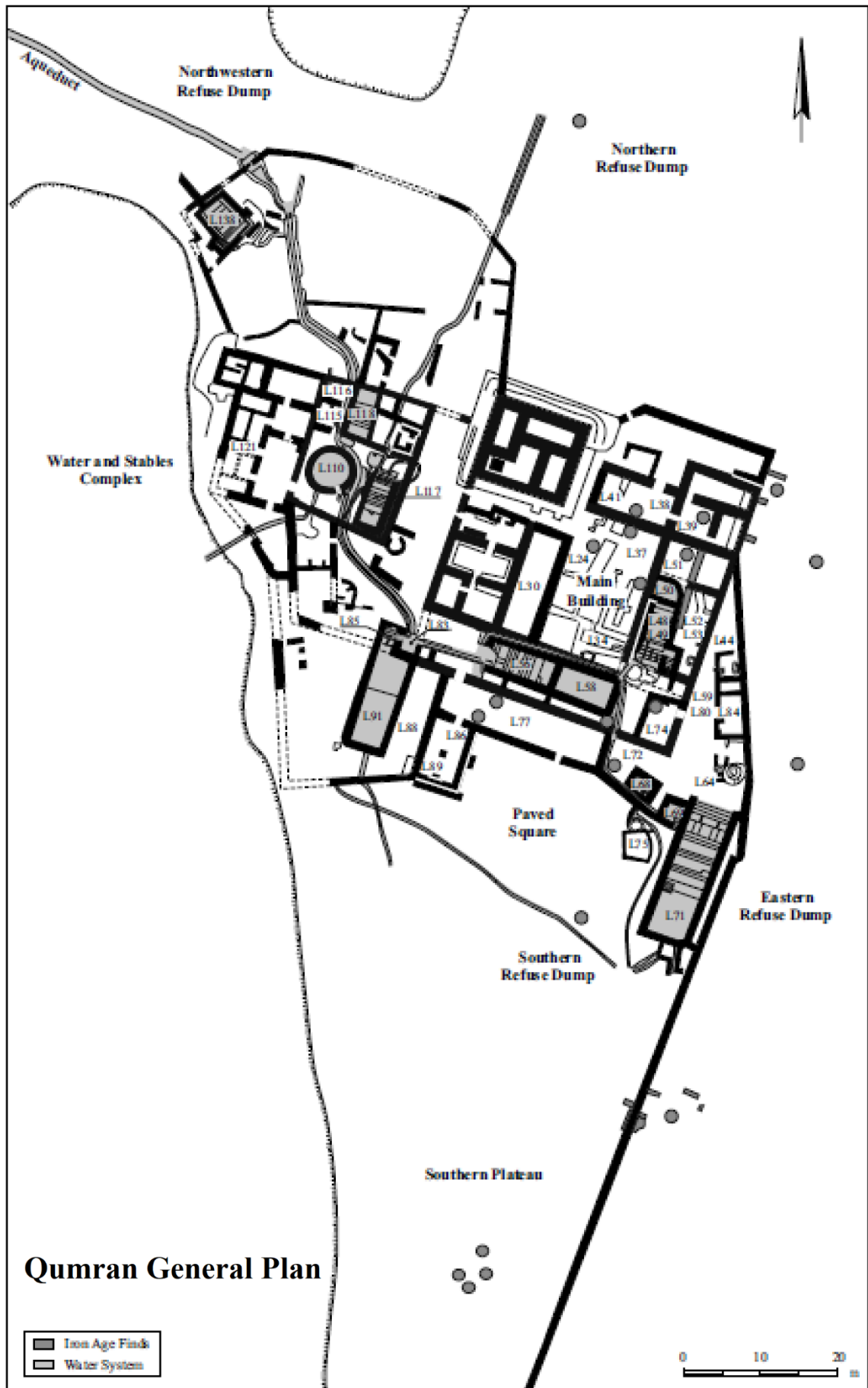
(3) مخطوطات البحر الميت، تأليف: بيندكت أوستن، تعريب: كبريل كوركيس ص 28-29



Qumran Western View



Qumran Eastern View





أحد جرار حفظ المخطوطات في قمران